الغلوُّ والتَّطرُّف وأثرهما على الفكر وواقع الأمَّة - الأسباب والعلاج -

Exaggeration and extremism and their

impact on thought and the reality of the nation

- causes and remedies-

م. م. سامي قديم

جامعة العربي بن مهيدي (الجزائر)

الكلمات المفتاحية: الغلوُّ، التَّطرُّف، الفكر الإسلاميّ، الأسباب والعلاج.

الملخص

تُعاني الأمَّة الإسلاميَّة منذُ عقود من استفحال الظّواهر الهدَّامة، والَّتي لا نُبالغُ إنْ قُلنا أنَّها أنهكتْ كاهلها، ومِنْ تلك الظَّواهر: الغلوُّ والتَّطرُّف والَّذي يبدأ بنيَّة حسنةٍ، وما يلبثُ إلاَّ أنْ يتطوَّر الفكر ويغشاه التكبُّر وتغطِّيه الجهالة، فيبدأ الإنسان بالانحرافِ، وتبدأ المشاحناتُ والأخذُ والردُّ، وربَّما وصل الأمر بالشَّباب إلى التَّكفير، والذي هو أكبر مشكلة تُعاني منها البلادُ الإسلاميَّة، لذا وجب تظافر الجهود لمحاربة هذه الظَّواهر الهدَّامة التي تعصف بمجتمعاتنا، وتقديم الحلول النَّاجعة الَّتي نُحافظ بها على استدباب الأمن والأمان، ونقضي كذلك على الحماسة الطَّائشة، وقلَّة الوعي لكي لا يحيدوا عن الطَّريق السَّويِّ، وهذه الدّراسة جاءتْ لتسليط الضَّوء على ظاهرتَا الغُلوِّ والتَّطرُّف، وبيان سُبل علاجهما والحدِّ من انتشارهما.

Key words: Exaggeration, extremism, Islamic thought, causes and remedies

Abstract

The Islamic nation has been suffering for decades from the exacerbation of destructive phenomena, which we do not exaggerate if we say that it has exhausted its burden, and of those phenomena: extremism and extremism, which begins in good faith, and soon after the development of thought and its arrogance and cover editing ignorance, man begins to deviate, The bickering, taking and responding, and perhaps the youth have reached atonement, which is the biggest problem afflicting the Islamic countries, so efforts must be combined to fight these destructive phenomena that are ravaging our societies, and to provide effective solutions that keep us safe and secure, and we spend as well as This study was designed to highlight the phenomena of extremism and extremism, and to show how to treat them and reduce their spread.

المُـقدِّمـة

يشهدُ العالـمُ اليوم تطوُّراتٍ وتغيُّراتٍ سريعةٍ ومُتلاحقة في جميع نواحي الـحياة، وهذه التطورات أثَّرتْ على عقليَّة المجتمعات، وخاصَّة الإسلاميَّة منها، فأنظارُ العالم كلّه تُراقب الأمَّة الإسلاميَّة، وخاصَّة الذين يتربَّصون الـمكر بأمَّتنا، ويُراقبون ما يلحق بها من شُبهات، لاستغلالها كنقيصة تُحسبُ على الإسلام.

الإسلامُ دين الرَّحمة والوسطيَّة واليُسر، والشَّريعةُ الإسلاميَّةُ تقوم على جـُملةٍ من الـمبادئ والـمقاصد، ومِنْ أبرزها السَّماحةُ والرّفقُ والتوسُّط، ونبذ التَّشدُّد والفرقة والخصام، وظاهرة التَّطرُّف التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلاميَّة اليوم لها آثار سلبيَّة كثيرة، يترتَّبُ عليها دمارٌ وخراب، وما ينجرُّ عنها من تخريبٍ للعقول وإرهاق للنُّفوس، ومن الإشكالات أنَّ مُعظم مُتبنّي هذا الفكر هم من الشَّباب، الذين هم روح المجتمع وسبب نشاطه، فحماستهم وقلّة وعيهم جعلهم عرضةً لهذا الفكر غير الصَّحيح.

أمَّا عن الأهدافِ الـمُسَطَّرة في هذه الدِّراسة، فتكمُن في تقديم نظرةٍ علاجيَّة لمشكلة الغلوّ والتَّطرّف، وكيفيَّة وسُبل مكافحتها في المجتمعات الإسلاميَّة، مع تحليل أسبابها ورسم معالـم منهجيَّة للحدّ مِنْ هذا الفكر الذي يضرُّ بتماسك المجتمع وأمنه، حيثُ سيستفيدُ مِنْ هذه الدّراسة: الأجهزة الحكوميَّة، والتَّربويُّون، والدُّعاةُ وطلبةُ المدارس والجامعات.

من خلال ما تقدَّم، فهذا البحثُ يتَّجه إلى الإجابة عن التَّساؤلات الآتية:

- ✓ ما الغلوُّ والتطرّف ؟ وهل هناك فرقٌ بينهما ؟
- ✓ ما الأسباب التي تؤدّي إلى انتشار الغلوُّ والتّطرّف ؟
- ✓ كيف ينظر الإسلام إلى الفكر الـمتطرّف ؟
- ✓ ما الحلول لمواجهة هذه الظواهر المتطرفة والتصدّي لها وعلاجها ؟

❊ ❊ ❊

المبحثُ الأوَّل: الغلوُّ والتَّطرُّف

يعدُّ الغلوُّ والتَّطرُّف منْ آفات العصر، وهما سببان رئيسيان في الوقوع في الأفكار والإرهابيَّة التي تعصِفُ بالأمَّة اليوم، فهما من المظاهر الخطيرة، ولهما تداعيَّات سلبيَّة، وخاصَّة الغلوّ والتّطرف في الدّين، والذيّ يعدّ من أكبر درجاتِ التَّطرُّف، والتَّي يُتولّد عنهما كوارثُ تعصف بالفكر والأمَّة والشَّباب، وسنبدأ بالغلوّ، مع بيان: مفهومه، أقسامه، جذوره ومظاهره، وفي الجزئيَّة الثانية: التطرف: المفهوم، الجذور والمظاهر.

أوَّلاً: الغلوُّ (الـمفهوم، الأقسامُ والجذور):

المطلب الأول- الغلو لغة واصطلاحًا:

أولا- الغلوّ لغة: الغلوُّ في اللُّغة لا يخرجُ عن هذه الـمعاني: مُجاوزةُ الحدِّ والقَدْرِ وتعدِّيه، يقالُ: غلا في الأمرِ، جاوزَ فيه الحدَّ، قال ابن فارس: «الغينُ واللَّام والحرفُ المعتلُّ، أصلٌ في الأمر، يدلُّ على ارتفاع

ومجاورة القدر، وغلا الرجل في الأمر غُلُوًّا: جاوز الحد»[1]، وأصل الغلاء عند ابن منظور: الارتفاع ومجاوزة القدر في كلّ شيء، يقال: غاليتُ صداق المرأة، أي: غلَّيتُه، ومنه قولهم: «لا تُغالوُا في صدقات النساء» معنى ذلك لا تبالوا في كثرة الصّداق»[2].

يستنتج ممَّا تقدَّم أنَّ الغلوّ هو مجاوزة الحدّ، وهو في الامور الدَّنيويَّة والدّينيَّة على حدّ سواء، وفي الأمور الدِّينيَّة يرد بكثرة.

ثانيا- اصطلاحًا: جاء الغلوُّ في الاصطلاح على معانٍ كثيرة منها: التعصُّب والتنطّع والتَّزمت، وهي كلها تعني شيئا واحدًا، وهو الزيادة ومجاوزة القدر أو المبالغة، فالتزمَّت يعني: نزعة إلى التشدّد في الدّين أو السُّلوك بُغية تطهيرهما وتخليصهما[3]، والتعصُّب: في الغالب يكون إمَّا لرأي أو فكرة أو لجماعة أو حزب، وهو كذلك يتعلق: «بالأشخاص أو بمبدأ أو فكرة، حيث لا يدع مكانًا للتّسامح، وهو نوع من الحماسة الشَّديدة، وهو فعل بعيد عن التعقّل»[4]، وهو أقرب المصطلحاتِ الشَّبيهةِ بالغلوّ، قال صلى الله عليه وسلم: «هَلَكَ الـمُتَنَطِّعُونَ»[5] أي: المغالون في العبادة، المجاوزن حدَّ الضَّوابط الشَّرعيَّة.

أمَّا الغلوّ بمفهومه الواسع: هو «مُجاوزة الحدّ، وذلك بأنْ يُزادَ في حدّ الشَّيء، أو ذمّه على ما يستحقّ، وذلك دون إفراط ولا تفريط، ومجاوزة الحدّ يكون في الحدود الشَّرعيَّة، بقول أو فعل أو اعتقاد»[6]، وعرَّفه ابن حجر في الفتح: بأنَّه المبالغة في الشيء، والتَّشديد فيه، حتى يتجاوز الحدّ[7]، فالغلوّ تجاوز الحدود، والحدود هي: النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به.

المطلب الثاني- أقسام الغلوّ: للغلوّ أقسام عديدة، فيها ما هو مُتعلّقٌ بجاني العبادات، وفيها ما هو متعلّق بالأمور الدُّنيويَّة، والبحثُ يتعلَّق بمجال الغلوّ في الدّين.

١- الغلوُّ الاعتقاديّ: له العديد من الصُّور، منها: الغلوّ في الأئمّة، واعتقاد العصمة، وغلوّ أهل الكلام، خاصّة ي صفات الله عزَّ وجلَّ، إمَّا بالتَّمثيل أو التَّعطيل[8]، وغلوّ النصارى في المسيح، فقالوا بأنه ابن الله، واعتقادهم بأنَّه إله، وهو غلوٌّ في مدح الأشخاص، وغلوّ اليهود بأنْ جعلوا عيسى ولد بغي، وهو غلوٌّ في باب الذم والقدح.

ونجدُ الغلوّ في الأولياء والصَّالحين، ومن ذلك زيارة قبورهم والتعهّد لها، وذبح القرابين، قال رسول صلى الله عليه وسلم: «لا تُطْرُونِي كَمَا أطْرَت النَّصارى عيسى بنُ مريم، فإنَّما أنا عبدُ الله ورَسُولِهِ»[9]، ومن الأمثلة كذلك: نجدُ غلوَّ الخوارج حتَّى كفَّرُوا

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، ص ٦٨٣.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، ص ١٣١.
(٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص ٤٤.
(٤) المرجع نفسه: ص ٤٩.
(٥) البخاري: الصحيح الجامع، ص
(٦) أحمد بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٨٩.
(٧) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ص ٢٨٧.
(٨) صالح بن عثيمين: كشف الشبهات، ص ٢٤.
(٩) البخاري: كتاب الأنبياء، ص ٤٧٨.

بالمعصية.

٢- الغلوُّ في المعاملات: وهو أنْ يُشدَّد الإنسان ويُحرّم دون تثبُّت، وبخاصَّة الأمور المسكوت عنها في شرع الله، فمثلاً: بعضُ المعاملات التجاريَّة والتي ليستْ من الرِّبا، والتي سكت عنها كبار أهل العلم، تراه مُحرمًا إيّاها، مُشدِّدًا على حُرمتها[1]، وهذه معاملاتٌ يقوم بها الجهّال من الذين يتصدّرون الأمور.

٣- الغلوُّ في العادات: كثُر اليوم الغلوُّ في العادات، وأصبح النَّاس لا يقيمون وزنًا ولا اعتبارًا لما يقومون به، وهل يُخالف الشّرع أم لا، وهي عادات قديمة، ورثوها عنْ آبائهم وأجدادهم، فمثلا: الغلوّ في الزَّواج، ومن ذلك: أنْ تَركَب العروس الكبشَ الذي جاء به أهل العريس، ومن ذلك أيضًا: قيام سبعة أيام بلياليها وأهل العريس يذبحون ويُوزّعون، وهذا من الأمور التي تخالف الشَّرع، فالإسلام دينُ اليُسر والرَّحمة، لا دين التَّشديد على النَّاس، وحملهم ما لا يُطيقون.

٤- الغلوُّ في العبادات: وهو أنْ يعتقد أنَّ الصَّلاةَ في كلّ وقت جائزة، فيُصلّي في كلّ الأوقات، حتى في أوقات الكراهة والنَّهي، كغلوّ المعتزلة في مُرتكب الكبيرة، وأنَّه كافر في النَّار، وهم بهذا الحكم يتَّفقون مع الخوارج في نظرتهم لصاحب الكبيرة، ومن الغلوّ في الدّين، التَّفجيرات التي بزعمهم تقضي على الكفَّار، وهو مِنْ أشدّ الأمور المغالية في الدِّين.

المطلب الثالث: أدلَّة الغلو في الكتاب والسنَّة:

جاء الإسلامُ مُحذِّرًا من الغلوّ، وبخاصَّة في الدِّين، والأدلَّة على ذلك كثيرة، وسنقتصر على بعض الأدلَّة من القرآن والأحاديث النَّبويَّة لتكون تدليلاً على تحريم هذه الظَّاهرة.

- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ النساء ١٧١.

- وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ المائدة ٧٧

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إيَّاكُم والغُلُوَّ، فإنَّما أهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ في الدِّينِ» أخرجهُ النَّسائي.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «هَلَكَ الـمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الـمُتَنَطِّعُونَ»[2] أخرجه مسلم.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ

(١) ابن عثيمين: كشف الشبهات، ص ٢٥.

(٢) مسلم النَّيسابوري: صحيح مسلم، ص ٩٥٤.

يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ»[1]، أخرجه مسلم، ومعنى يُشادَّ: أي: يُغالب، وهي دعوة تحملُ عدم المشقَّة على النَّفس، والتَّيسير عليها، والتَّوغُّل في الدِّين.

إنَّ الأدلَّة من الكتاب والسنَّة كثيرة على التَّحذير من الغلوِّ، وبيان خطره، وأنَّه فعلٌ مُهلك لصاحبه، يبدأ بحُسنِ النيَّة، ويتطوَّر إلى أنْ يُصبح مُغلاة كبرى، وقد يصلُ الأمر إلى حدّ الإذاية، وأفعال تُخالف السَّماحة الَّتي جاء بها الإسلامُ.

المطلب الرابع- جُذُور الغلوِّ وبعض صُوره:

الغلوُّ ظاهرة ضاربة في التّاريخ، يَصلُ إلى عهد نوحٍ عليه السَّلام، فقد غالى قومه في الصَّالحين، فبدأ الأمر بأنْ زيَّن لهم الشَّيطان بأنْ يصنعوا تماثيل لخمسة من الصَّالحين، وذلك إكرامًا لهم حتى لا ينساهم الناس، ومرَّت الأزمان، وجاء قوم آخرون، فغالوا في هؤولاء الصَّالحين، ودَعَوْهُم من دون الله، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في سورة نوح عليه السلام، قال تعالى: وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ نوح ﴿٢٣﴾، فالقرآن حذَّر هؤولاء القوم على لسان نبيّه نوح عليه السَّلام، ولكن سبقَ عليهم الكتاب بأنْ يكونُوا من المُغرقين.

وفي قوم عيسى عليه السَّلام، غالى القوم فيه نبيّ الله، فألَّهوه، وغالوا في حُبّهم له، وقد جاء القرآن ليحكي لنا قصَّة هؤولاء القوم، قال تعالى: يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ النساء ﴿١٧١﴾.

لقد جاء الغلوُّ في صور كثيرة، وقد تعرَّضوا للذَّات الإلهيَّة، بأسوأ أفعالهم، وتجبُّرهم، ظانّين أنَّهم يحسِبون صنعًا ومن ذلك[2]:

١- وصفُ أنفُسهم بأنَّهم أغنياء وأنَّ الله فقير، قال تعالى: لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ آل عمران ١٨١، فهذا الوصفُ هو أشدُّ أنواع التجرُّؤ على ذات الله سبحانه، وقد أجابهم القرآن بالجزاء الذي يستحقُّونه وهو النَّار.

٢- تجرؤ اليهود على الله سبحانه، وقالوا بأنَّ «يَدَ اللهَ مَغْلُولَة»، قال تعالى: وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ المائدة ٦٤. وهي كناية والعياذُ بالله

(١) المرجع نفسه: ص ٩٥٨.

(٢) علي عبد العزيز الشَّبل: الجذور التَّاريخيَّة لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، ص ١٨.

عن البُخل.

٣- وصف الله بالتَّعب والإعياء في خلق السَّماوات والأرض، قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ق ٣٨.

٤- ومن إرهابهم، قتلهم الأنبياء، وفسادهم وعدم صبرهم[١]، قال تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ البقرة ٦١.

أمَّا الغلوُّ والتَّطرُّف عند المسلمين، فقد جاء على حالات فرديَّة في بداية الإسلام، ولم يكُن ممنهجًا، مع وجود الالتباس والاختلاف في فهم الشَّريعة، ومن الأمثلة، حديث الثلاثة الذين جاؤوا إلي بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الراوي: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أَحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا، أما واللهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي)[٢]، فحذَّرهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الغلو والابتعاد عن سُنَّة الله في العبادة، والذي أعرض عن نهج وطريق النبي صلى الله عليه وسلم، فهو بعيدٌ كلَّ البُعد عن مُتابعة الدّين الصَّحيح، ولا تُقبل له عبادة.

وتحكي كُتب التَّاريخ، أنَّ الغلوَّ بدأ ممنهجًا مع بداية الخوارج في عهد علي رضي الله عنه، والبعضُ الآخر يذكُر أنَّ غلوَّ الخوارج مع قتلة عثمان رضي الله عنه، فعادوا عليًّا وعثمان، وغالوا في أمر الدِّين وخاصَّة في أصولِ الدِّين، فغالوا في تكفير الحكَّام، ويُكفِّرون بالكبيرة، وأنَّ صاحبها مُخلَّد في النَّار[٣]، وجاءتْ بعدهم المعتزلة والإباضيَّة، فغالوا في صفات أسماء الله وصِفاته، ورؤيته عزَّ وجلّ يوم القيامة[٤].

إنَّ الغلوَّ والمجاوزة والتَّفريط والتَّقصير، آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل، إلاَّ مَن مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركَ أقوال النَّاس وآرائهم، لما جاء به الرَّسول عليه السَّلام، لا مَنْ تَرَكَ ما جاء به رسولنا لأقوال النَّاس وآرائهم، وما ابتدعوه في الدِّين.

(١) علي عبد العزيز الشَّبل: الجذور التَّاريخيَّة لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، ص ٢٠-٢١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ص ١٢٥٤.

(٣) خالد محمد خال: أسبابٌ أربعةٌ للتطرف، ص ٥٥.

(٤) عمار طالبي: آراء الخوارج، ص ٩٨.

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني: التطرُّف (مفهومُه، جذورُه، أنواعه):

التطرف أحد أهمَّ الظَّواهر التي عصفت بالأمَّة، وبخاصَّة شبابها، خطر هوى بالكثيرين، به تُستباح الأعراض، وبه يقتل الاخ اخاه، وبه تُبادُ الب، وهو سبب دمار كثير من الدُّول .....

أولا: التطرف لغة واصطلاحًا:

١- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور قوله: «طَرَفُ كلِّ شيء مُنتهاه، والطَّائفة منهُ طرفٌ أيضًا، وتطرّف الشَّيء، صار طَرَفًا، وشاةٌ مُطرفة: بيضاء أطراف الأذنين، وسائرها أسْوَد، وفرس مُطْرَّف: خالف لونُ رأسه وذنبه سائر لونه»[١]، والطَّرفّي في النَّسب، مأخوذ من الطَّرف وهو العبد، وتطرَّف الشَّيء صارَ طرفًا[٢]، وورد في المنجد: تطرَّف: جاوز حدَّ الاعتدال، ومنهُ التَّطرُّف في الرَّأي، فهو مُتطرَّف: أي: جاوز حدَّ الِاعتدال فيها[٣].

ممَّا تقدَّم، يُستنتجُ أنَّ التَّطرّف هو الخروج عن القصد، ومُجاوزة الحدّ والبُعد عن الاعتدال والاتّزان.

٢- اصطلاحًا: يُعرَّف التَّطرُّف بتعريفات عديدة، وسنقتصر على ما نراهُ شاملاً مُوجزًا، فالتَّطرّف: هو التَّعصّب ولو بعبارة واحدة، ويأتي في المقابل له: الاعتدال والاتّزان، ويعني المبالغة والتَّشدُّد الزَّائد عن اللزوم مع العناد في عدم الاعتراف والتَّراجع عن الخطأ[٤].

وفي مجال الشَّريعة، التطرّف: هو التكلُّف في أداء العبادات الشَّرعيَّة، أو مصادرة اجتهاد الآخرين في المسائل الاجتهاديَّة، أو تجاوز الحدود الشَّرعيَّة في التَّعامل مع الـمُخالف[٥]، ويعني التطرف أيضا: «المغالاةُ في الرأي والسُّلوك والعقيدة، والتطرف الفكري، أبرزُ أنواع التَّطرُّف، فهو ذلك الأسلوب الذي يرفض أيَّ نقدٍ، وتماما بقدرته على المعرفة الصحيحة، دون الرجوع غلى البراهين والادلة، وإنما يعتمد طريقة التفكير المتميز بالتعصُّب والانغلاق الفكري في ضوء المعتقدات والآراء التي يُؤمن بها[٦].

٣- الفرقُ بين التطرُّف والإرهاب:

ما إنْ تُنطقُ كلمة التطرف حتى يتبادر في الذِّهن مصطلح «الإرهاب»، والباحثون يختلفون في كون التطرف مرادفًا للإرهاب، والحقيقة أنَّ كليهما يدّعيان السموُّ الأخلاقي، وامتلاك الحقيقة المطلقة، وعندما يتطور التطور يصحبه أي عنف من نوع ما يُمكن القول بأنَّه أصبحَ إرهابًا بشكل واضح، فالإرهاب من المفاهيم التي ألصقوها بالإسلام، فالإسلام دين الرَّحمة والسَّلام، والإرهاب وصفٌ لصيقٌ بكلّ

(١) ابن منظور: لسان العرب، ص ١٤٨.
(٢) يُنظر: المرجع نفسه، ص ٢١٣.
(٣) معلوف: المنجد في اللغة العربيَّة، ص ٤٦٤.
(٤) أحمد نعمان: التعصب مع أو ضدّ الإسلام والإنسان لماذا و كيف؟، ص ١٢.
(٥) صلاح الصَّاوي: التطرف الديني الآفاق الدّولية للإعلام، ص ١٥.
(٦) الخميسي السيد سلامة: تربية التسامح الفكري، ص ٨٤.

من يريد تعزيز آرائه وأفكاره بالعنف والتَّهديد، والإرهاب حسب المختصِّين: «كلُّ فعل سواء يحوي عنفًا وإذاية ومساسا بالذات الإنسانيَّة، وهو أنواع: إرهاب سياسيٌّ، فكري، وديني»[1]، ومما تقدَّم يُفهم أنَّ الإرهاب بعيد عن الإسلام، وهو من التهم التي ألصقها الغرب بالمسلمين، نكاية بهم، ليضعفوا من قوَّتهم، وجعل الدُّول تعاديهم، فالإسلام هو الدِّينُ الذي يُخيف الكفَّار، والذين يسعون جاهدين لمحاربته.

المطلب الثاني- جُذُور التَّطرُّف:

المتتبّعُ لكتب الأثر، والسنة والحديث، ليجدُ أنَّ أوَّل ظهور لفعل التطرُّف حسب المسمَّيات، وقع في حادثة ابني آدم عليه السلام حينما قرَّبا قُربانًا، فتُقُبِّل من أحدهما ، ولم يُتقَبَّل من الآخر، فدبَّت نار الغيرة، وقتل قابيلُ أخاهُ هابيل، بحجَّة كيف يُتقبَّل منه، مع ظنّ قابيل أنَّه قدَّم قُربنًا حسنًا. ومِنْ هذه الحادثة، حين قتل قابيل أخاهُ ، عُرِف القتل في الإنسانيَّة، وإذا مررنا على بلاد الفراعنة لنجد العجاب، وخاصَّة مه الكهنة وأرباب المال الذين يريدون السيطرة على الحكم، فأسالوا الدماء وقتلوا ونكَّلوا بمعارضيهم، والتطرف في الأصل له ارتباطٌ وثيق بالأفكار العقائديَّة، والتي تُبنى على حُبِّ التملُّك والحكم، ومن الملوك الذين ذكرهم التَّاريخ «ذو النَّواس» الذي أرغم النَّاس على دخول دينه، ، فرفضوا، فأمر بحفر الأخاديد وألهب داخلها النيران، ورمى الناس فيها، فهذه الحادثة التي خلَّدها التَّاريخ من أفضع الجرائم التي هي التطرُّف بعينه، ومن التَّطرُّف في الإسلام ما قم به الحجَّجُ بنُ يوسُف الثَّقفي بقتله عبد الله بن الزبير، حين هاجم مكَّة ورماها بالمنجيق، وقطع رأس ابن الزبير على مشهد من مرأى العامَّة، وإنْ جازَ وصف تطرّف الحجَّاج، فوصفه بالجبروت أبلغ.

وفي العصر الحديث، ضرب الاستعمار الفرنسي أبشع الصُّور في الكراهيَّة والقتل والتَّدمير، فاحتلَّ الجزائر سنة ١٩٣٠، وخرج منها سنة ١٩٦٢، وما خلَّفه مِنْ قتل وتعذيب ونهب وسطو وتنكيل بشعبها، وأشنع مجازره ما يُعرف بـ: «مجازر ٠٨ ماي ١٩٤٥»، إنَّ فرنسا التي تُنادي بالحريّات وحريَّة الرأي والفكر، قامت سنة ١٧٨٩ بمجازر في شعبها وقمعته واضطهدته، واعتقلت زعماء الأحزاب ورؤساء التكتلات وقتلهم بعضهم والبعض نفتهُ، والأغلبيَّة ماتوا في السُّجون.

إنَّ الحديث عن ظهور التطرف تاريخيًّا، ليستلزمُ منَّا أطروحات لإحصاء الظروف التي نشأ بها وحركاته، ومظاهره وأشكاله، لذا اكتفتْ الدّراسة بتقديم نظرة مُبسَّطة حول جذوره التاريخية، وإنْ أردنا التقصي والإحصاء فهي كثيرة، وليس مجالها في هذا البحث.

المطلب الثالث- أنواع التطرف: للتطرف أنواع وأشكال عديدة، وكلُّها لها آثارُ سلبيَّة على الفرد والمجتمع، وتنعكس سلبًا سواء على الجانب الدينيِّ أو الدنيويِّ، وهي:

١- التطرف في القول: حيث تعكس الأقوال

(١) مختار شعيب: الإرهاب، موسوعة الشَّباب السِّياسيَّة، ص ١٨.

والأفعال في هذا النَّوع، فإذا غالى في القول وأبدا الآراء، سينعكس بذله على أفعاله، وقد تؤدي به إلى فعل أمور عنيفة جسديَّة[1]. وله آثار قد تؤدي بهلاك الأمم، بالكلمة سلاحها أقوى من الجيوش.

٢- التطرف العقدي: إشكالية تواجه الأمة الإسلاميَّة اليوم، وهي التطرف العقدي، وهي تأويل النصوص الشرعية حسب الأهواء، ويتشدد فيها، ويُطلقُ الألقاب، ويُكفِّرُ هذا ويُجيز قتل ذلك، ومن الأمثلة كذلك: الشرك العقدي في الأولياء والقبور والأشخاص[2].

٣- التطرف الفكري: وهو الخروج عن ما اعتقد عليه الإنسان، وفي هذا النوع ينغلق الفكر، ولا يقبل الحوار، والأخذ والردَّ، وهو سمة بارزة للجماعات الفكريَّة الضَّالة، لا يقبلون المخالف، وأحيانًا يعلمون أنَّهم على باطل ويستكبرون في آرائهم المنحرفة، وهذا النوع لا يترك مجال التحاور، فجُمود الفكر لا يسمح له بفتح نوافذ الحوار، ويعمل على إقصاء المخالف وتهميشه[3].

٤- التطرف السياسي: ونعني به الصراعات والمناوشات التي تحصل رغبة في الوصول إلى السلطة، فتتعالى المشاكل والكثر العنف، ويتولَّد العداء بين أفراد كل حزب، وتكثر الشحناء، متناسين أهمية الوطن ومصلحته[4]، فأغلب المنتمين للأحزاب والمنظمات السياسية يتناسون الوطن إذا مُسَّتْ مصالحهم، فيستخدمون شتَّى الطرق للوصول إلى السُّلطة.

٥- التطرُّف الدُّولي: وهو ما تمارسه الدول الاستعماريَّة والكبرى على الشُّعوب الضَّعيفة، مِن تخويف ورعب، كالإبادات وتفجير القنابل الذريَّة، وما فعلته فرنسا بمنطقة «تِيقَنْتُورِين» بالصحراء الجزائريَّة، بتفجيرها لقنبلة ذرية قضتْ على الآلاف[5] ومازالتْ آثارها إلى يومنا هذا، لهي خير دليل.

كثيرة هي أنواع التطرُّف، وحصرها في هذه الأنواع، لهو لمحة يسيرة، عن أنواع تهدّد الإنسان والأمَّة، وهي وبال على مَن بنَّاها وتزعَّم عذا الفكر الضَّال، والبحثُ في الجزئيَّة الثانية، ستطرق إلى اسباب الغلو والتطرف وكيفيَّة مُعالجتها.

❊ ❊ ❊

المبحث الثَّالث: مظاهر الغلو والتطرف (الأسباب والعلاج):

المطلب الأول: مظاهر الغلوُّ في الدّين: للغلوّ في الدِّين مظاهرُ عديدة، وسيقتصر البحثُ عن أهمِّها:

١- التعصُّب للرَّأي: يُعدُّ التعصُّب للرأي سبب

(١) إبراهيم الحيدري: سوسيولوجيا الحرب والإرهاب، ص ١٠٢.
(٢) هاني العفراوي: العنف والتطرف، ص ٤٨.
(٣) ينظر: ليلى عبد الستار، تنمية التفكير السليم لدى الشاب الجامعي لمواجهة التطرف، ص ١٩١.
(٤) أحمد حمزة: مكافحةُ الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية، ص ٥.
(٥) موقع ويكيبيديا، تم الاطلاع عليه يوم: ٢٣٢/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة: ١٧:٥٥ د.

كلِّ المشاكل، والإشكال أنَّ تزمُّتَهُ وتعصّبه لرأيه، فهو بذلك يُخالف الآراء الأخرى، ولا يأخذ بها، ولا يتحاور أو يتجادل مع الطَّرف الآخر، بل رأيه وقوله وهو الصواب، وعدم مراعاة ظروف ومقاصد الشَّرع، ورفض الحوار كما أسلفنا، فترى الشَّخص يجتهد في مسائل دون علم أو زاد علمي ومعرفيّ[1]، وقد تراه يُفتي في القضايا المعقَّدة، دون تورُّع أو خشية.

٢- التزام التَّشديد دون مُلزم شرعيٍّ: يُغالي الكثيرون في فرض أمور شرعية لم يأت بها الشرع، ولم يُقرّها النبي صلى الله عليه وسلم، فيُحرِّمون ما أصله الإباحة، بحجَّة الزُّهد والتَّقوى، فقد حرَّم بعضهم أكل اللَّحم بحجَّة أنَّ أقومًا أخرى لا يستطيعون شراءه، وقال بعضهم: لا تُعوّدوا النَّفس على الشَّهوات وأكل ما لذّ وطاب، وهو بذلك يُعارضون قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم)، وقوله سبحانه: (يُحِلُّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْكُمُ الْخَبَائِثَ).

٣- سُوءُ الظنِّ: من مُنطلق قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)، يُحذّر القرآن من سوء الظَّنِّ بالآخرين، ويُحذِّرُ مِنَ الغُرور والإعجاب بالنَّفس، وهو ما يجعلُ الإنسان يُغالي في النَّاس، فيصفُهم كما يشاءُ، ويعدّ نفسه وجماعته أو حزبه هم أصلح النَّاس، وأنَّهم على الحقّ وغيرهم على الباطل، وهـذا يُخالف المنهج الربانيّ في أنَّ الناس إخوة، ويجبُ عدمُ التَّعامُل والتَّنافُر والتَّشاجُر.

٤- الفرقةُ النَّاجيةُ والمفهوم الخاطئ: منذُ سماع الناس على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم وبعده، وهم مُختلفون حول أمر الجماعة، وأيّ منها هي التي تتبع الدّين والصِّراط المستقيم، فافترقت الأمَّةُ إلى فرق وملل ونحل، كلّ واحدة ترى نفسها الفرقة النَّاجية، وما عداها في ضلالة، وقد يؤدي بهم الغلوّ إلى التَّكفير.[2]

٥- التعصّب للرجال: وذلك بتعصّب الكثيرين لعالم أو داعية أو إمام فينصب لواء الدفاع عنه، وتجريح مخالفيه، حيث يرى أنّ أقواله وأفعاله صوابا، وهذا الفعل غير صواب، ولا يعرف الحقّ إلاّ بالرّجال، قال مالك رحمه الله: «كلٌ يُخذ من كلامه ويرد إلاّ صاحب هذا القبر»، ثمَّ أشار إلى قبر النبي عيه السَّلام، والواجب أنْ يتعصَّب المرء لقول أحد من النَّاس إلاَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، والواجبُ الأخذُ بالدَّليل وعدم الزَّيغ والضّلال.

٦- الموقف من المرأة: كرَّم الإسلام المرأة وحفظ لها حُقوقها، وساواهما في الحقوق والواجبات مع الرجل، فهي مُكلَّفة في أمور الدّين كالرَّجل في جميع الأحكام، ولكنّ بعض الغلاة أنقصوا من قيمتها، وأنَّها للبيت فقط، ولا يجوز أنْ تخرج إلاَّ من بيت زوجها على قبرها، وأنَّه لا يجوز لها العمل، وكذلك غالوا في أحكام لم يُنزل به الله من سلطان[3].

٧- الطَّعنُ في وُلاة الأمر: كما هو معهود على

(١) يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف، ص ٣٦.

(٢) أحمد أبو كمال أبو المجد: التطرف فير الجريمة، ص ٣٩.

(٣) محمـد الغزالي: حذار من التدين المغشوش، ص ٤٤.

الجهلة، فهم يطعَنُون في ولاة الأمر وحكَّام المسلمين، ويحكمون عليهم بالضَّلالة والردَّة، وأنَّهم لا يحكمون بما أنزل الله، وأنهم علمانيون لا يحكمون شرع الله، بل ويجوّزون الخروج عليهم، بل وقتلهم، ويُجيزون المظاهرات التي فيها نهب وتخريب، واستحلال لدماء رجال الأمن، وأنهَّم أداة للطواغيت.

٨- الطَّعن في العلماء: نعاني اليوم من ظاهرة الطعن في العلماء وانتهاك أعراضهم، فأنَّهم علماء باطل وسلطان، بل وتتبعوا سقطاتهم وأخرجوها للعامَّة على أنَّها ضلالات، وكفر ومخالفات شرعيَّة، بل وتجاوزوا الحدَّ في تحريف أقوال لأجل التَّحامل عليهم لا غير، قال ابن تيمية رحمه الله، وهو يُحذّر وينهى عن تناقل الروايات الضَّعيفة عن العلماء، وبيّن أنَّ هذه النُّقولات هي مِنْ باب القدح فيهم.

إنَّ الطعن في العلماء ليفتح الباب للأعداء المتربّصين بالأمَّة للنَّيل من مُوجّهي وقائدي الأمَّة إلى الهداية وبرّ الأمان.

٩- الغلوُّ في الصَّالحين: ومن لك، الذَّبح لأصحاب القبور، وهو في الشَّرع شركٌ أكبر، فإن اشترى الإنسان منزلا ذبح ذبيحة وأهداها للشَّيخ الميْت تقرُّبا، وقد لا يذكر اسم الله عليها، ويوقل هي ذبيحة فُلان، وهذا مُخالفٌ شرعًا، وهو شرك أكب، ومنه كذلك، الطواف حول القبور، وترداد بعض المقولات والأناشيد البدعيَّة الشِّركيَّة[1].

١٠- تكفير المسلمين: التَّكفير أعلى مراتب الغلوّ والجهل، ودِيننا الإسلاميّ الحنيف، يُحافظُ على النَّفس ويضمن لها كرامتها، فالمخالفون يعتبرون كلَّ مُخالف لهم كافرًا[2]، فهم يُكفِّرون كلَّ صاحب معصية، وإنْ كانَ مُسما حسن الإسلام، وهذه الظاهرة قديمة، منذ ظهور الخوارج في عهد الخلفاء الراشدين، بل ومن سذاجةِ عقولهم كفَّروا حتى أتباعهم الذين خالفوهم في مسائل بسيطة، وحكموا عليهم بالردَّة، وحرَّم المغالون في الصّلاة خلف من يرونه صاحب معصية أو خالفهم.[3]

هذه بعض ظواهر الغلوّ، وهي كثيرة، ولا بدَّ لها من عقد المؤتمرات والأيام الدراسية للخروج بحلول لمعالجة هذه الظاهرة التي عصفت بالأمَّة، وما أنتجته لنا من فكر إرهابيّ، وعاد على الأمم والشُّعوب بالخراب والوبال، لذا ودب تظافر الجهود للحدّ من هذا الفكر الهدّاَم.

المطلب الثاني: أسباب الغلوّ والتطرّف:

للغلوّ والتطرف أسباب عديدة، لكونهما أساس مشكلات الفرد والمجتمع، بل ولا يخلو مجتمع مسلمٌ مِنْ تبعاتهما، ولعلَّ أهمَّ سبب أجمع عليه العلماء والمفكرون هو:

١- الجهل بالدّين: تُعاني الامَّة الإسلاميَّة اليوم بمتعالمين ومُتفيقهين تصدَّروا أمور الدّين وأمور

(١) محمد عبد العزيز الخالدي: باب أحكام العيدين، ص ٢٤٥.

(٢) يوسف القرضاوي: علامات التَّطرف، ص ٣٦.

(٣) أبو الأعلى المردودي: الخلافة والملك، ص ١٤٤.

العامَّة، فاعتمدوا على المتشابه وخالفوا إجماع العلماء، بل وتعدَّى بهم الغلو إلى مخالفة كبار العلماء والتَّحذير منهم، فاعتمدوا على مصادر مشبوهة تخالف ما اجتمع عليه المسلمون، ودعوا إلى إعمال العقل في الأمور التي تخالف هواهم [1]، وهناك أيضا الإفراطُ في العمل بالأحكام الشَّرعيَّة، وعدم اتباع المنهج الحقّ، وإعمال الآراء التي تخالف الدّليل، بل وكلَّها أهواء ألقَتْ بأصحابها إلى الغواية والبعد عن تعاليم الشَّرع الصَّحيح.

ومن الأمثلة على الجهل بدين الله، أنّك ترى جماهير من النَّاس يقولون: إنَّ الصَّلاة ليستْ شيئا عن الله، وإنَّ المرء إذا كان نظيف القلب، فإنه يدخل الجنَّة، من غير صلاة ولا زكاة ولا حجٍّ [2]، وهذا والله لهو عيْن الباطل، فهؤلاء هم المرجئة الذين حذّر منهم الإسلام وأهل العلم.

٠٢- تصدّر الجهّال لتعليم النَّاس: استفحلت هذه الظاهرة في العقود الأخيرة، فلا ترى مجلسًا وإلا ترى من تصدّر تلك المجالس أصحاب الأهواء والذين لا باع لهم من الدين، بل ويجهلون أبسط الأمور، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال: قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا، ولكنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاء، حتَّى إذَا لَـمْ يُبْقِ عالمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأفْتَوْا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا»[3]، وهذه دعوة للقائمين على الشُّؤون الدّينية بأنْ تُجعل المراقبة على أماكن الفتوى، وأنْ لا يتصدَّر للإفتاء وأمور الدِّين إلاَّ مَنْ تُجيزُهم الهيئاتُ العلميَّة والشَّرعيَّة، وعلى الوزارات الوصيَّة تشديد العُقوبات على المخالفين، وأنْ تحرص على تصدَّر أهل العلم فقط لهذه المناصب الشَّعريَّة الحسَّاسة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيَأتِي على النَّاسِ سَنَوَاتٌ خدَّاعاتٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُؤتمَنُ فيها الخَائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، وينْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضةُ. قالوا: وما الرُّوَيْبِضَة يا رسول الله؟ قال: الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكَلَّمُ في أمْرِ العامَّةِ»[4].

٠٣- الابتعادُ عن العلماء وأهل الحلّ والعقد: من أسباب الغلو والتطرف وخاصَّة عن الشَّباب الذين هم أكثر النَّاس عُرضة للآثار السلبيَّة، البُعدُ عنْ أهل العلم والدّين، يقول النبي صلى الله عليه وسلَّم: «العُلماءُ ورثةُ الأنبياء»، والدَّعوة إلى لُزومهم والتعلُّم على أيديهم، فمُلازمة أهل الدين والعلم، لتزيد من بقاء الإنسان على الطريق المستقيم والسَّويِّ، فهم النُّور الذي يُضيء درب النَّاس.

٠٤- اتِّباعُ الهوى: جاءتِ الشَّريعةُ للتَّحذير من الهوى، والذي هو أساس، قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ» الجاثية ٢٣. وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ كلَّ منْ لـمْ يستجِبْ للرسول

(١) ينظر حمزة العلوي: الجهل بالدين واثره على الأمة الإسلامية، ص ٢٤.
(٢) ينظر: سعيد رسلان: مخاطر التطرف الفكر والانفلات الأخلاقيّ، ص ٠٨.
(٣) إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ص ١٠٠.
(٤) أخرجه ابن ماجه في سُننه، ص ١٨٨٧.

الله صلى الله عليه وسلم، وذهب إلى قولِ مُخالف للهدي، فإنَّه لم يذهب إلى هُدى، وإنَّما ذهب إلى هوى، والقسمة ثُنائيَّة: إمَّا اتباع الهدي النَّبويِّ وإمَّا اتِّباع الهوى[1].

٠٥- الإعلام الفاسدُ: أزمةٌ تُعاني منها الشُّعوب اليوم، وبخاصَّة ظهور وسائل الإعلام والاتّصال، فهو الذي يبثُّ كلَّ عبر قنواته، ومن الأمثلة على ذلك: ظهور الـمُدَّعين والطَّاعنين في ثوابت الدِّين، وبعضهم يتجرَّأ حتى الذَّات الإلهيَّة ومقام النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأنكروا في قنواتهم عذاب القبر، وطعنوا في القرآن، فالواجب على المسؤولين على السَّمعي البصري، أنْ يُراقبُوا ويجرِّمُوا القنوات التي تطعنُ في ثوابت الدِّين[2].

٠٦- التعصّب: وخاصَّة التعصُّب في الدِّين، فتجدُ أتباع المشايخ والفرق يتعصَّبُون للأشخاص، وينتج عن ذلك مناوشاتٌ وطعن وسبٌّ وشتمٌ، وقد ينجرُّ عن هذا الفعل القتل والضرب[3].

٠٧- الجهلُ العام: ونعني به أنَّ نسبة كبيرة من العالم العربيِّ لا يقرؤون ويكتبون، ويتَّبعُون آراء الغير، دون بحثٍ وتقصٍّ، «فالجهلُ العام بالأمور الدُّنيوية والدِّينيَّة، من الأمور التي تجعل الأمم في أزمات، والناس الجهلة يسهُل على المتربِّصين استغلالهم، واستعمالهم في أمور خارجة عن الشَّرع والقانون، فالدّراسات الحديثة أثبتت: أنَّ الجهَّال أكثر النَّاس عُرضة للآراء والأفكار الهدَّامة، وهم مَنْ يسهُل الاغرار بهم»[4].

٠٨- التخلُّف الحضاري:» تُعاني الأمَّة العربيَّة من أزمة تخلُّفٍ حضاري، عدا بعض الدُّول، كدول الخليج، التي جعلتْ مِنْ شُعوبها تُواكبُ الحضارة، حضارة البنيان والتكنولوجيا، بينما هناك العديد من الدُّول الأخرى شُعوبها مكبوتة، وخذا الكَبْتُ ينجرُّ عنه ظهور التعصَّب والغلو، وحبُّ تقليد الغرب، وهو ما يُسبّب مشكلاتٍ نفسيَّة»[5].

إنَّ الغلوَّ والتطرُّف ظاهرتان سلبيَّتان لا شكَّ في ذلك، ولمعالجةِ هذه الظاهرة لابدَّ من تظافر الجهود، وتحسيس الجميع بضرورة التَّعاون والتَّشارك، فما هي طرق وسُبُل علاج هذه الظاهرة ؟.

المطلب الثالث: طُرق وسُبل علاج ظاهرتي الغلوِّ والتَّطرُّف:

إنَّ الـمنهج الـمُحمَّديَّ أتى باليُسر والتَّيسير، وسماحةُ الإسلام جعلتِ العالم يُذعنُ صاغرًا لهذا المنهج الربَّانيِّ، فالخطأ في الإسلام لا يُعالجُ بالخطأ، والغلوُّ لا يُقابلُ بالغُلوِّ، لهذا أوصى الإسلامُ باللِّينِ والنَّصيحةِ وتبيان الحقِّ ومُسايرة المخطئ حتى لا يطغى في غيّه، مع بيان الحجَّة، ولعلاج ظاهرتي الغلوّ والتَّطرف، يجب:

٠١- البُعدُ عن العنف وتبنِّي أسلوب المناصحة:

(١) ينظر: سعيد رسلان: مخاطر التطرف الفكر والانفلات الأخلاقيّ، ص ٢٧.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٩.
(٣) يوسف القرضاوي: الصَّحوةُ الإسلاميَّة، ص ٦٤.
(٤) محمد الغزالي: الحق الـمر، ص ١٠٨.
(٥) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص ٢٧.

ولعلَّ أبرز مثال يحفظه العالم هو ما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم عن جابر -رضي الله عنه-: أنه غزا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قِبَل نَجْد، فلما قَفل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قفل معهم، فأدركتهم القَائِلَةُ في وَادٍ كثير العِضَاه، فنزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتفرق الناس يَسْتَظِلُّونَ بالشجر، ونَزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تحت سَمُرَة فعلق بها سيفه وَنِمْنَا نومةً، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدْعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخْتَرَطَ عليَّ سَيفِي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صَلتًا، قال: من يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قلت: الله -ثلاثا-» ولم يُعاقِبْهُ وجلس، متفق عليه. وفي رواية قال جابر: كنَّا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذَاتِ الرِّقَاعِ، فإذا أَتَيْنَا على شجرة ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجاء رجُل من المشركين وسيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معَلَّقٌ بالشجرة فَاخْتَرطَهُ، فقال: تَخَافُنِي؟ قال: «لا»، فقال: فمن يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قال: «الله». وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»، قال: من يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: «الله»، قال: فسقط السيف مِن يَدِهِ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السيف، فقال: «من يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟»، فقال: كُنْ خَيرَ آخِذٍ، فقال: «تَشهد أن لا إله إلا الله وَأَنِّي رسول الله؟» قال: لا، ولكني أُعَاهِدُكَ أن لا أُقَاتِلَكَ، ولا أكُون مع قوم يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فأتى أصحابه، فقال: جئتُكُمْ من عندِ خير الناسِ[1]، فقدْ كان بإمكان النبيّ صلى الله عليه وسلَّم أنْ يقتصَّ منه، ويُنزل به أشدَّ أنواع العقاب، غير أنَّهُ لم يُعامل العنف بالعنف وسوء الفعلة بمثله، وبذلك كسب صلى الله عليه وسلم قلبه منْ أراد قتله، ورجع إلى قومه مُسلمًا ودعاهم للإسلام. قصَّة الأعرابي الذي جبذ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بردائه جَبْذَةً شديدةً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه[1] بردائه جبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال: يا محمَّد! مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء)[2].

٠٢- الدَّعوةُ إلى الرِّفق والتَّحلي به: دعتْ كلَّ الشَّرائع من آدم عليه السلام إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، وبخاصَّة الرِّفقُ بالنَّفس أثناء العبادات، وأنْ لا يُكلِّفها الإنسانُ ما لا تستطيع، حتَّى يُخيَّل للإنسان أنَّه مُقصِّرٌ في العبادة، فقد دخل عليه السَّلام يوما على عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة، فقال: من هذه؟ فقالت: فُلانَةُ تَذكُرُ مِنَ صَلاتِها، بمعنى أنها كثيرة الصَّلاة، فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم وأمرها بالرفق على نفسها[3]، فهي دعوة منه صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاريُّ: كتاب المغازي، ص ٧٣٢.
(٢) رواه مسلم: كتاب الزكاة، ص ٢٤٩.
(٣) أخرجه الشَّيخان: كتاب الإيمان، باب: أحبُّ الدِّين إلى الله أدومه، ص ٣٣.

وسلم إلى أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أقلّها مع دوامها، وليست الكثرة مع انفصالها وانقطاعها.

٠٣- نشرُ العلم الشَّرعيِّ: وذلك بنشر الدّين الصَّحيح، والأخذ به من أهله، الذين درسوه وعرفوه وفَقِهُوه، ألا وهم العُلماءُ، قال صلى الله عليه وسلم: «ألَا وإنَّ النَّاسَ بخيْرٍ ما أخَذُوا العِلمَ عَنْ أكَابِرِهِم»، أخرجه مسلم، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إنَّكُمْ لمْ تزالُوا بخيرٍ مادام العلمُ في كِباركم، فإذا كان العلمُ في صِغاركُم سفَّه الصَّغيرُ الكبيرُ)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أتدرونَ ما ذَهابُ العلم ؟ قلنا: لا، قال: ذهابُ العلماء هو ذهابُ العلم)، وحاجةُ الأمَّة إلى العُلماءِ كحاجتهم لضروريات الحياةِ.

٠٤- فتحُ باب التَّوبة والأملِ للنَّاس: مُخطئ مَنْ يحكم على النَّاسِ بذنوبهم وأنَّهم هَلكى وأصحابُ ذنوب لا تُغتفر، فالله يغفر للمسلمين جميع ذُنُوبهم مالم يُشركوا، وعلى الإنسانِ أنْ ينشغل بعيوبه وذنوبه، قال صلى الله عليه وسلم: «إذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يُقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فهو أهلَكُهم»[1]، وفي هذا الحديث نهيٌ عنْ إطلاقِ الأحكام على النَّاس بأنَّ فلانًا صالحٌ وفلانٌ طالح، بل على الإنسان أنْ يشتغل بما ينفعه وينعُ الأمَّة، وهو بهذا الحُكم أهلَكَ النَّاس، وفي ضبطٍ أهلَكُ النَّاس، فليحذر الإنسانُ مِنْ هذه الأفعال، وأنْ لا يُغالي في تنزيه نفسه، والحكم على النَّاس في كُلِّ ما يصنعُون.

٠٥- استِنْهاضُ هِمَمِ العلماء والدُّعاة والمفكِّرين والمربّين: وذلك للإسهامِ في حلِّ المشكلة وتخفيف آثارها والحدِّ من انتشارها بأكثر ممَّا هو حاصل، وبكلِّ الوسائل المتاحة، فمثلا لا نعرفُ أيّ خطوة رسميَّة جادَّة للمسؤولين ووزارات الشؤون الدينيَّة والإسلاميَّة والدعاة، والتَّعاون والاشتراك في حلِّ المشكلات الكبرى[2].

٠٦- توسيعُ دائرة الفتوى: وإنشاء دوائر للفتوى في كُلِّ المناطق، واسعة الصلاحيات، كبيرة الإمكانات تتصدَّى لحاجات المجتمع ومُشكلاته وإشكالاتِه الكبيرة والكثيرة والخطيرة.

٠٧- إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والارتقاء بمستواها: من حيثُ الوظائف والإدارة والوسائل والإمكانات[3].

٠٨- الإكثارُ مِنْ الإصدارات والنَّدوات والمحاضرات واللِّقاءات في علاج الغلوّ، وأنْ تكونَ هناك برامجُ ثابتة في الإعلام تُحذِّرُ من الغلوِّ وأهله.

٠٩- دمجُ الشَّباب في الجمعيَّات الخيريَّة والتَّطوعيَّة لسدِّ الفراغ وامتصاص العواطف والأفكار المنحرفة.

١٠- تطبيق حدِّ الحرابةِ من ولاة الأمور: شرع الإسلامُ حدَّ الحرابة للمفسدين في الأرض، «وللقضاء على جريمة الإفساد في الأرض، التي تُروِّعُ الأبرياء وتقتلهم، وتُخيفُ سُبُلَهم، وهذا الأمر خاصٌّ بولي الأمر، أو الجهات المختصّة من قضاء، ورجال أمن

(١) البخاري: الأدب المفرد، ص ٢١٩.

(٢) ينظر: ناصر عبد الكريم العقل: الغلو الأسباب والعلاج، ص ١٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٨.

وكلُّ من له سُلطة حماية النَّفس البشريَّة»[1].

إنَّ الحديث عن الغلوِّ والتَّطرُّف ليستلزم تظافر الجُهود، كلٌّ حسب موقعه، فالإمام والدَّعية من منبر النُّصح والإرشاد، وعالم النَّفس والتَّربية من منبر العلاج ومحاولة فهم أسباب هذه الظواهر وكيفيَّة محاربتها لكي لا يتأثر الشباب بهذه الأفكار الهدَّامة، ورجُل الأمنِ مِنْ مكانِ عمله في كبح المخالف والمعتدي، ووليُّ الامر من خلال منح الصَّلاحيَّة للهيئات التي تسهر على تطبيق الشرع وتحفظ أمن النَّاس، فمكافحة الغلوِّ لا يُقاومُ فقط باللِّين، بل أحيانًا: ليزعُ الله بالسَّلطانِ ما لا يزعُ بالقرآن، فواقعنا وللأسف الشَّديد، يقف عند القوانين المدنية والدّنيويّة، أكثر من الحدود الشرعيَّة، وكلُّ ذلك خوفًا من السلطان أول وليّ الأمر.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

بعد هذه الجولة المستفيضة في الحديث عن الغلوِّ والتَّطرف، وأسباب هذه الظَّاهرة، وسُبل علاجها والحدِّ منها، خلُص البحث إلى النَّتائج الآتية:

- ظاهرة الغلوِّ والتَّطرُّف لها آثار سلبيَّة ثقافيَّة واجتماعيَّة ودينيَّة على الأمَّة الإسلاميَّة.
- ضرورة نشر العلم الشَّرعيِّ للحدِّ مِنْ ظاهرة الغُلوِّ والتَّطرُّف.
- سنُّ القانين الرَّدعيَّة للحدِّ من هذه الظاهرة، وليس أنجع من حدّ الحرابة لذلك.
- فتحُ الحوار مع المغالين والمتطرفين وتبيان الغلط وإلزامهم الحجَّة.
- عقابُ كلِّ مخالف لتعاليم الشرع والحياة، فالعقوبات تؤدِّب المخالف.
- التَّوصيات:
- دعمُ الشَّباب واستثمار طاقاتهم وأقات فراغهم بما ينفع الأمَّة وبُلدانهم.
- توجيهُ الإعلام لتوعية الشَّباب والتَّحذير من الأفكار الهدَّمة التي تعصف بهم وبمجتمعاتهم.
- إنشاء سُلطة شرعيَّة تُراقب ما يُعرضُ على القنوات، خاصَّة البرامج التي تتحدث عن الدين ومشاكل الأمة.
- الجميع مسؤول على مشاركة نشر الوعي والأفكار النيِّرة التي تُحدُّ من انتشار الأفكار الظَّلاميَّة.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١ أحمد بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر، ط٢، ١٩٩٨هـ، ج١، ص ٢٨٩.

٢ أحمد حمزة: مكافحةُ الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية، مؤسسة التوعية والإرشاد، الأردن، ٢٠١٦، ص ٥.

(١) ينظر: سعيد رسلان: مخاطر التطرف الفكر والانفلات الأخلاقيّ، ص ٦١.

٣ أبو الأعلى المردودي: الخلافة والملك، تعريب: أحمد إدريس، د ط، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٨٨.

٤ إبراهيم الحيدري: سوسيولوجيا الحرب والإرهاب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠١٥، ص ١٠٢.

٥ حمزة العلوي: الجهل بالدين واثره على الأمة الإسلامية، دار شاكرون للنشر، د بلد، ط ١، ٢٠٠٤.

٦ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، دار السلام، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٠٠ هـ.

٧ جمالُ الدّين ابن منظور، لسانُ العرب، دارُ صادر، بيروت، ج ٤، ط ٣. ١٤٤١ هـ، ج ١٣.

٨ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

٩ ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السَّلام هارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط ٢، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٦٨٣.

١٠ محمد بن اسماعيل البخاري: الصحيح الجامع، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١٤٤٤.

١١ سعيد رسلان: مخاطر التطرف الفكر والانفلات الأخلاقيّ، مصر، د معلومات.

١٢ عمار طالبي: آراء الخوارج، المكتب المصري الحديث، الإسكندريّة، مصر، د ط، ١٩٧١، ص ٩٨.

١٣ صلاح الصَّاوي: التطرف الديني الآفاق الدّولية للإعلام، ط ١، ١٩٩٣،

١٤ لويس معلوف: المنجد في اللغة العربيَّة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د ت.

١٥ مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، دار الفكر، لبنان، ١٩٧٤،

١٦ صالح العثيمين: كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستَّة، مؤسسة الجرسي للتوزيع، السعوديّة، ط ١، ١٩٩٦.

١٧ مختار شعيب: الإرهاب، موسوعة الشَّباب السِّياسيَّة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجيَّة، الأهرام، مصر، ٢٠٠٤.

١٨ مسلم النَّيسابوري: صحيح مسلم، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ج ١.

١٩ محمد عبد العزيز الخالدي: باب أحكام العيدين، دار الكتب العلميَّة، ط ١، ١٤١٨، ج ٣.

٢٠ محمد الغزالي: الحق المر، دار الشباب، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

٢١ ناصر عبد الكريم العقل: الغلو الأسباب والعلاج، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، السعودية، د ت.

٢٢ يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف، رئاسة المحاكم الشرعية والدينية، قطر، ط ٢، ١٩٨٣،

المجلات:

١ الخميسي السيد سلامة: تربية التسامح الفكري، مجلة التربية المعاصرة، عدد ٢٦.

٢ ليلى عبد الستار، تنمية التفكير السليم لدى الشاب الجامعي لمواجهة التطرف، دراسةً تحليلية، مجلة

دراسات تربوية، مجلد ٧، ج ٤٣، ص ١٩١.

المواقع: موقع ويكيبيديا، تم الاطلاع عليه يوم:
٢٣٢/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة: ١٧:٥٥ د